

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ ملياً

الاعلونات

يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفن

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشبول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٤٣ « القاهرة في يوم الإثنين أول ذو الحجة سنة ١٣٦٢ - الموافق ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

وجهات نظر

للأستاذ عباس محمود العقاد

كانت الملاحظات التي أبدتها النقاد على كتابي « عبقرية الإمام » قليلة فيما كتب عنه حتى الآن وأقل منها الملاحظات التي تشتمل على وجهة نظر في التاريخ أو التحليل النفسي تقوم على المدرس وتستحق المناقشة ومن هذه ملاحظات الزميل الفاضل الأستاذ أحمد أمين بك في كلمته الموجزة بصحيفة « الثقافة » وخلاصتها :

١ - أنني اعتمدت على بعض الروايات من غير كبير نقد ، كاعتمادى على رواية نهج البلاغة في وصف الخفاش والطاووس ونحو ذلك

٢ - وأنتى اعتمدت على ما روى في حديث سواة عمر بن الخطاب ، وهي رواية لم يقرأها الأستاذ الفاضل في الطبرى ويذكرها المؤرخون الأثبات بصيغة « التمريض » . فيقول السمودي : وقد قيل في بعض الروايات ، ويشير إليها ابن عبد البر في الاستيعاب فيقول ... « فيما ذكرها » وكلها عبارات تدل على التشكيك

٣ - وأن تقسيم الكلمة التي نسب إلى الإمام في علم

الفهرس

صفحة	
٩٤١	وجهات نظر ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٩٤٤	البهاء زهير ... : الدكتور زكي مبارك ...
٩٤٧	الدكتور طه حسين والشعر { الأستاذ دريخ حشة ... المرسل ... }
٩٥٠	الشعر العربي ... : الدكتور محمد مندور ...
٩٥٢	العلم في روسيا ... : الأستاذ خليل السالم ...
٩٥٥	عبقرية الإمام ... : الأستاذ محمود أبو رية ...
٩٥٧	باتوزيس يرى أزسردا ... : الأستاذ على محمود طه ... [قصيدة] ...
٩٥٨	بين الفكر اليوناني والفكر { الأديب ماهر قنديل ... المصري ... }
٩٥٨	المنافسة بعد المحاضرة نظام { الأديب أحمد الصرياصى ... إسلامي قديم ... }
٩٥٩	لبشار أم لكثير عزة ؟ ... : الأديب عبد الحميد عثمان عبد المجيد
٩٥٩	من الشعر للنسي لحافظ بك { الأديب رضوان العوادلى ... أبراهيم ... }
٩٥٩	الخطايا السبع ... : الأستاذ دريخ حشة ...
٩٦٠	جامعة نشر الثقافة - حفلة تأبين { ... تقلا باشا ... }
٩٦٠	استدراك ... : ...

النحو أشبه بالتقسيم المنطقي اليوناني . وهذا كله ناب عن طبيعة العصر

٤ - وعلى الجملة كنت في « المبقرات » السابقة فناناً وقاصياً فضيت في كتابي هذا على نهج أقرب إلى نهج المحامي والفنان ، فتعرضت للدفاع عن الإمام في مواقف النزاع أكثر مما تعرضت لرسم شخصيته . ولعل جو الكتابة في على نفسه قضى بذلك ، لأن حياته السياسية كانت نزاعاً لم ينته حتى بالموت

وهذه الملاحظات كلها يصح أن تلخص في أمر واحد وهو اختلاف مقياس الترجيح والنفي والإثبات

وخلاصة هذا المقياس عندي هو أن نحزم بدليل قاطع أو ننفي بدليل قاطع ، وأما الترجيح فالمعول في قوته وضعفه على مشابهة القول المرجح للمعهود والمقول ، فإن كان هذا القول مشابهاً لها فلا ضير من الأخذ به على أية حال ، كأن نعلم أن فلاناً رجل محسن فلا يضير بعد ذلك أن يقال إنه أحسن بدینار في يوم من الأيام ، وهو في ذلك اليوم نفسه لم يحسن بدینار ولا بدرهم ، أو يقال إن آخر لص معروف فلا يضير أن يتهم بسرقة رجل بعينه وهو لم يسرق منه بل سرق من رجال آخرين

وعلى هذا المقياس نرجع إلى اختلاف وجهة النظر بيننا وبين الأستاذ الفاضل في موضوع الملاحظات التي أبدأها ، فلا نرى أننا تجاوزنا القدر اللازم من الترجيح ، أو أننا قررنا شيئاً يحتاج تقريره إلى برهان أقوى من البرهان الذي اعتمدنا عليه فأما نهج البلاغة فقد تشككنا في نسبة بعضه إلى الإمام كما تشكك غيرنا من قبلنا ، ودعانا إلى الشك في بعض عباراته كما قلنا في عبقرية الإمام « ... غلبة الصيغة الفلسفية عليها وامتزاجها بالآراء والمصطلحات التي اقتبست بعد ذلك من ترجمة الكتب الإغريقية والأعجمية ، ولا سيما الكلام على الأضداد والطباع والعدم والحدود والصفات والموصوفات »

ولكن لا يدخل في هذا ما جاء في نهج البلاغة من الكلام على الطاووس والخفاش وما إليه ، لأنه لا يشتمل على شيء يستغرب صدوره من الإمام على أو يستغرب صدوره من العصر الذي عاش فيه

لأن الإمام علياً عربياً أصيلاً ، والعرب مشهورون بوصف الأحياء الآبدة والأنيسة التي رأوها ، ولهم في الخيل والإبل وبقر الوحش والظباء والكلاب وطيور أوصاف لا يدق عنها دقيق من خلائق تلك الأحياء

ولأن الإمام علياً مسلم فقيه دارس للقرآن ، والمسلمون مأمورون بالنظر في خلق الله ، ولا سيما الفقيه الدارس المطيل للدراسة ولأن الإمام علياً عرف بالزعة الصوفية التي جعلت كثيراً من علماء الكلام ورجال الطريق ينسبون أنفسهم إليه

ولأن العبارات التي وصف بها الخفاش والطاووس في نهج البلاغة لا تنافر بينها وبين عبارات الإمام أو عبارات عصره

فترجيح نسبتها إليه لا ضير فيه

وإذا بطلت نسبتها إليه بطلاناً جازماً - وهي لم تبطل قط - فالحقيقة المعهودة المعقولة باقية كما كانت قبل نسبتها إليه ، وهي أنه كان ينتظر في خلق الله وينزع في تأمله زعة التصوفين

أما حديث سوء عمرو ، فقد رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار وابن عبد ربه في العقد الفريد ، ورواه الذين ذكرهم الأستاذ الفاضل بصيغة التريض

فإبطال هذه الروايات إنما يقوم على تنافر بين العمل وبين طبيعة عمرو بن العاص أو طبيعة علي بن أبي طالب

ولا تنافر بين العمل وبين طبيعة الرجلين

فعمرو بن العاص في عنفوان شبابه سمع رجلاً يطلب قبلة من امرأته فحقد عليه وأضمر الكيد له ، ولكنه لم يمنعه أن تقبله بل أمرها بذلك قائلاً : « قبل ابن عمك » ثم انتقم منه بعد أن خرج من المأزق الذي كان فيه

فليس بمستغرب من معهودة ومعقولة أن يخرج من مأزق الموت في وقعة صفين بمثل تلك الحيلة ، وقد بلغ الشيخوخة التي تهدأ فيها عرامة النفوس

وليس بمستغرب كذلك من الإمام أن يعرض عنه ، لأنه كان لا يتبع مولياً ولا ينتظر إلى عورة ، وكان ينهى جنده أن يتبعوا الموليين ويهتكوا الموراث

وليس بتناقض لهذه الروايات أن الطبري لم يحفل بها ولم يثبتها ، لأن الطبري في تاريخ عمرو بن العاص خاصة بخل أبعاء

سبقوا إلى تدوين نجوم وفيه مشابهة كبيرة لنحو اللغة العربية «
وفي اعتقادنا أن الحد الذي وقفنا عنده هو الحد المأمون
في الشك والترجيح ، وليس لنا أن نقول بخير ما قلنا بغير دليل
قاطع من الأسانيد الصحيحة
أما إذا اعتمدنا على المقاربة الترجيحية فالسريان أقرب
إلى اللغة العربية وإلى الكوفة من اليونان ، ومذاكرة الإمام
لعلمائهم أقرب من مذاكرة العلماء اليونان . ومن شاء بعد ذلك
أن ينق الروايات المتواترة نقياً قاطماً فليعه الدليل

هذه أمثلة لمقياس الترجيح والتشكيك عندنا في مختلف
الروايات ، وهو على ما نفتقد المقياس الوحيد المأمون ؛ لأن
الرواية التي نشك فيها لا تبطل شيئاً من الآراء التي تقرها سواء
مضينا بالشك إلى التأييد أو إلى التنفيد . وليس لنا أن نتجاوز
الشك إلى الجزم بغير برهان وثيق وسفد لا مطمئن فيه

وبعد فإننا نوافق الأستاذ الزميل على أننا قد أخذنا موقف
الحامي عن الإمام في كتابنا عن عبقرية ، وأن جو الكتابة
هو الذي قضى علينا بأخذ هذا الموقف ، لأن النزاع حول على
يوجب التمرض لوجوه هذا النزاع ، كما يوجب إنصافه مما قيل فيه
ولكننا لا نوافق على أن الدفاع يمنع « رسم الشخصية »
على الوجه الأمثل ، لأن تصحيح الأقوال التي يوصف بها رجل
من الرجال هو المقدمة الأولى لتصحيح صفاته والتعريف بحقيقة
شخصه ، وليس من اللازم أن يكون حكم القضاء مخالفاً لبرهان
الدفاع . بل كثيراً ما يعتمد عليه وينقله بنصه ويطل كل ماعداء
وإن من الحق علينا لزميلنا الكبير أن نشكر له ملاحظاته
القيمة ، لأن الملاحظات التي تصدر عن وجهة نظر هي جلاء
لوجهة نظرين بل لوجهات أنظار ، ومنها الفائدة التي يبتغيها
النقاد والقراء والمؤلفون . عباس محمود العقاد

إخلال . وقد نبه إلى هذه الحقيقة كتاب بطار الذي طبعته لجنة
التأليف والترجمة والنشر فقال بحق : « ... ولكن من أكبر
ما يدعو للأسف أن كتابه ناقص نقصاً عظيماً في أخبار فتح
مصر ، فإن روايته في ذلك قليلة قلة شديدة ، وزيادة على قلتها
قد دخلها خلط كبير في كل ما يتعلق بوصف البلدان وتواريخ
الحوادث وذلك يدعو إلى كثير من التضليل »

فليس الطبري بالمرجع الوافي المنفع في تاريخ عمرو وما ينسب
إليه ، لأنه قليل الاحتفال بمعظم تفصيلات هذا التاريخ

ونعود إلى قاعدتنا في قياس الترجيح فنسأل : ترى لو لم
يثبت حديث الزواة في هذه المسألة فإذا يبطل من صفاتنا للإمام ؟
إننا جئنا بها مع غيرها للدلالة على نحوه الإمام
ونحوه الإمام صفة ثابتة له على كل فرض من الفروض التي
نحوم حول هذه الرواية

فهي إذن شيء لا يجزم بنفيه

وهي إذا جزم بنفيها لا تغير الحقيقة النفسية التي أثبتناها
للإمام أقل تغيير

وقد عرضنا نحن لرواية من قال إن الإمام علياً وضع أساس
علم النحو فقلنا : « ... وتواتر أن أبا الأسود الدؤلي شكاً إليه
شيوخ اللحن على ألسنة العرب فقال له : اكتب ما أُملي عليك ،
ثم أملاه أصولاً منها أن كلام العرب يتركب من اسم وفعل
وحرف ... إلى آخر ما جاء في تلك الرواية

وإلى هنا نحن نقرر الواقعة التاريخية ولا نزيد عليها ، لأن
المتواتر في كتب العرب هو هذا بلا مراد

ثم نقب في عبقرية الإمام فنقول : « وهذه رواية تخالفها
روايات شتى تستند إلى المقابلة بين اللغات الأخرى في اشتقاق
أصولها النحوية ولا سيما السريانية واليونانية »

إلى أن تقول : « ولا يمنع عقلاً أن يكون الإمام أول
من استنبط الأصول الأولى لعلم النحو العربي من مذاكرة العلماء
بهذه الأصول بين أبناء الأم التي كانت تنمى الكوفة وحواضر
العراق والحام ، وهم هنالك غير قليل ، ولا سيما السريان الذين